

## أدلة وجود الله

تحرير: د. عايض الدوسري

\* (البديل عن: ص 21 إلى ص 64)

وجود الله من القضايا البديهية والجلية الواضحة التي لا تحتاج إلى تدليل عند من سلمت فطرته من التشويش والانحراف. قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ومع ذلك، فإن الأدلة على وجوده سبحانه كثيرة، ويمكن اختصارها فيما يلي:

### الدليل الأول: دليل الفطرة.

وذلك أن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه". ولم يقل أو يسلمانه لأنه مسلم بفطرته مقر بالتوحيد بفطرته. قال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة".

ومن دلائل الفطرة أن الإنسان يلجأ إلى الله تبارك وتعالى عند الشدائد، فإذا وقع به كرب أو أحاط به خطر دعا الله عز وجل واستغاث به، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

وقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّئِهِمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۚ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَعْبُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۚ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ﴾.

هذه حقيقة مستقرة في أعماق النفس البشرية وثابتة وراسخة في قلوب الناس مع ولادتهم، وليس أمراً يكتسبه الأطفال من جراء تلقين آبائهم أو أمهاتهم. وقد كشفت أبحاث علمية حديثة عن ذلك، فقد نشرت صحيفة "التلغراف البريطانية" بتاريخ 24 نوفمبر 2008م وكذلك (الغاردين البريطانية) دراسة أكاديمية، قام بها الدكتور (Justin Barrett) -أحد كبار الباحثين في مركز أكسفورد لعلوم الإنسان والعقل- تؤكد أن الأطفال يُولدون وهم مفطورون على الإيمان بوجود الله، وأن هذا ليس له علاقة بالتلقين، بل هو معهم منذ ولادتهم. ويؤكد الدكتور جوستين باريت أن الأطفال حتى وإن وجدوا في صحراء أو في جزيرة معزولة ولم يتعلموا على أيدي أسرهم أو في مدارسهم فإنهم سيؤمنون بالله بسبب ما فيهم من الميل فطرياً لذلك.

يقول جوستين باريت: "لقد أظهرت أكثر الأدلة العلمية على مدى العشر سنوات الماضية أو نحوها أن ما بُني داخل التطور الطبيعي لعقول الأطفال أكثر مما كنا نظن، بما في ذلك الميل للاعتقاد بأن العالم الطبيعي تم تصميمه وله هادف، وأن كائنًا ذكيًا وراء هذا الهدف. ولو تركنا مجموعة أطفال لوحدهم في جزيرة وتركانهم يربون أنفسهم، اعتقد أنهم سيؤمنون بالله"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> See: <http://www.telegraph.co.uk/news/religion/3512686/Children-are-born-believers-in-God-academic-claims.html>. see also: <http://www.theguardian.com/commentisfree/belief/2008/nov/25/religion-children-god-belief>.

## الدليل الثاني: دليل العقل.

وهو أن كل مخلوق لا بد له من خالق، والسبب في ذلك أن هذه المخلوقات: سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفة. فهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟! ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من مُحْدِث. وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعيّن أن يكون لها موجد هو الله رب العالمين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "معلوم بضرورة العقل أن الحدث لا بد له محدث، وأنه يتمتع تسلسل المخلوقات باتفاق العقلاء، وذلك بأن يكون للمحدث محدث، وللمحدث محدث إلى غير غاية، وهذا يسمى تسلسل المؤثرات، والعلل، والفاعلية، وهو لا يزول إلا بمحدث أزلي لا يحتاج إلى غيره".

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، و البرهان القطعي، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ﴾. يعني: أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين خلَقُوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك و تعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم -رضي الله عنه- رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات، وكان جبير يومئذ مشركاً قال: "كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي". أخرجه البخاري في صحيحه.

فالقسمه العقلية في هذا الصدد لا تخرج عن ثلاثة أمور: الأول: إما أن تُوجَدَ هذه المخلوقات صدفة من غير مُحْدِث ولا خالق. وهذا محال ممتنع يجزم العقل ببطالانه؛ لأن كل من له عقل يعلم أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُحْدِث، ولا موجد، ولأن وجودها على هذا النظام يمنع أن يكون وجودها صدفة. الثاني: وإما أن تكون هي المحدثه لنفسها الخالقة لها، وهذا محال ممتنع -

أيضاً- فكل عاقل يجزم أن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم؛ فكيف يكون خالقاً؟ وإذا بطل هذان القسمان تعين الثالث: وهو أن هذه المخلوقات لها خالق خلقها، ومُحدثٌ أحدثها، وهو الرب العظيم الخالق لكل شيء، المدبر للأمور كلها. وقد ذكر الله هذا التقسيم العقلي القاطع في سورة الطور، قال - تعالى - : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله - تبارك وتعالى.

ويقول فرانك ألن -عالم الطبيعة البيولوجية وأستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا- بطريقة مشابهة لما سبق: إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته؟ هناك احتمالات أربعة للإجابة على هذا السؤال:

- 1- فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال. وهذا يتعارض مع ما سلمنا به من أنه موجود.
- 2- وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم وهذا مرفوض بداهة.
- 3- وإما أن يكون هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية وهذا الاحتمال يساوي ما يقوله المؤمنون بالله من أزلية الخالق. لكن قوانين الكون تدل على أن أصله وأساسه مرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذاً حدث من الأحداث ولا يمكن إحالة وجود هذا الحدث المنظم البديع إلى المصادفة عقلا، ولذلك فهذا الاحتمال باطل.
- 4- وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلي أبدعه وهو الاحتمال الذي تقبله العقول دون اعتراض. وليس يرد على إثبات هذا الاحتمال ما يبطله عقلا. فوجب الاعتماد عليه<sup>2</sup>.

---

<sup>2</sup> انظر: صراع مع الملاحدة- عبدالرحمن الميداني، ص 115 وما بعدها.

### الدليل الثالث: دليل العناية والإتقان.

وذلك أن الموجودات وُجِدَتْ على نظام بديع وتناسق متآلف وارتباط بين الأسباب ومسبباتها يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه! قال الله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

يقول الإمام الخطابي رحمه الله: "إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه ما يحتاج إليه ساكنه، من آلة وعتاد، فالسمااء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مجموعة والجواهر مخزونة كالذخائر، وأنواع النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمشارب، وأنواع الحيوان مسخرة للراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك للبيت المخول فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعاً حكيماً تام القدرة بالغ الحكمة".

ومن تأمل المخلوقات وكيف هداها الله وسخرها للقيام بما تحتاجه منذ ولادتها عليم أن الله هو الذي خلقها وأحسن صنعها، قال الله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

### الدليل الرابع: الرسل وآياتهم الدالة على نبوتهم.

فآيات وبراهين الأنبياء والمرسلين أدلة حسية وعقلية على إثبات صحة رسالتهم وإثبات وجود من أرسلهم وهو الخالق سبحانه وتعالى.

قال ابن قيم الجوزية: "فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعى إليه النبي... وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وارتباط أدلة هذه الطريق

بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالاتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصاً تقلها اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به ثم يعود عصاً كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد فكل قواعد الدين في هذه العصا وكذلك اليد وفلق البحر طرقا والماء قائم بينهما كالحيطان ونتق الجبل من موضعه ورفعته".

### نقض القول بالصدفة

قال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

**الصدفة:** هي أي أمر عشوائي يحدث بدون قاعدة، أو خروجاً عن قاعدة معروفة، بحيث لا يمكن التنبؤ به قبل حدوثه، ولا يتكرر حدوثه إلا نادراً. والصدفة لا يمكن بتاتاً بواسطتها تفسير وجود هذا الكون العظيم. يقول العالم الرياضي والفلكي الإنجليزي الشهير **فريد هويل**: "إن ظهور خلقة حية للوجود عن طريق الصدفة، يشبه ظهور طائرة بوينج — 747 عن طريق الصدفة، نتيجة هبوب عاصفة على محلات لأدوات الخردة".

ومع ذلك يقبل عقل الملحد أن الفوضى والعشوائية والصدفة يمكن أن يتولد عنها أمر في غاية التنظيم والدقة والتعقيد! يقول الملحد **هكسلي**: "لو جلست ستة من القرود على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي

كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن، إنما وجد نتيجة لعمليات عمياء".

ويرد العالم الأمريكي إبراهيم كريستي موريسون (Abraham Cressy Morrison) - رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك وعضو سابق في المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة- على ذلك ببيان استحالة القول بوجود الكون مصادفة أو بشكل عشوائي، يقول: "لو تناولت عشرة دراهم، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثم رميتها في جيبك، وخلطتها جيداً، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى، فإمكان أن نتناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الأولى هو واحد في العشرة، وإمكان أن نخرج الدراهم من (1-10) بالترتيب واحد في عشرة بلايين".

والقول بأن هذا العالم بما فيه من مواد كيميائية وحيوية وقوانين فيزيائية وُجدَ بصورة عشوائية وبسبب الصدفة، هو أشد شناعةً من القول بأن قصرًا عظيمًا مزخرفًا بأنواع الزينة والتحف وُجدَ بسبب إنهار جبلٍ أو بسبب انفجار فوضوي وعشوائي!

يقول القاسمي رحمه الله: "ومن أظهر البراهين على وجوده تعالى: الحياة على الأرض، سواء نباتية أو حيوانية، فإن الحي لا يتولد إلا من حي، وبه يستدل على نفي القول الذاتي: يعني أن الشيء يخلق نفسه، وهو زعم تولد الحي من المادة، وذلك لأن المادة خالية من الحياة ساكنة، خاضعة للنظام الذي وضعه لها خالقها، ويستحيل أن تولد حياة في ذاتها أو غيرها، لا سيما العقل الإنساني بجميع قواه وغرائزه، فإنه لا بد له من خالق عالم حكيم، إذ المواد لا تولد عقلاً، ولا تستطيع أن تخرج كائناً جهازياً متصفاً بأوصاف مباينة لنظام المادة".

ويقول كريسي موريسون: "إنَّ حجم الكرة الأرضية، وبعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض وكمية الماء، ومقدار ثاني أكسيد الكربون وحجم النيتروجين، وظهور الإنسان وبقائه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على خروج

النظام من الفوضى، وعلى التصميم والقصد، كما تدل أيضاً على أنه طبقاً للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد، مرة في بليون مرة -إن كان يمكن أن يحدث هكذا- ولكن لم يحدث هذا بالتأكيد. وحين تكون الحقائق هكذا قاطعة، وحين نعترف كما ينبغي لنا بخواص عقولنا التي ليست مادية، فهل في الإمكان أن نعقل البرهان ونؤمن بمصادفة واحدة في بليون ونزعم أننا وكل ما عدنا نتائج المصادفة؟

لقد رأينا أن هناك 999 999 999 فرصة ضد واحد، أي ضد الاعتقاد بأن جميع الأمور تحدث مصادفة، والعلم لا ينكر الحقائق كما بينها، وعلماء الحساب يقرون أن هذه الأرقام صحيحة، والآن تقابلنا مقاومة عنيدة من العقل البشري الذي يكره النزول عن أفكار مستقلة... وهنا أكرر القول بأن قصدي من هذه المعالجة للمصادفة هو أن أبين بطريقة علمية واضحة تلك الحدود الضيقة التي يمكن الحياة بينها أن توجد على الأرض، وأن أثبت بالبرهان القطعي الواقعي أن جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة"<sup>3</sup>.

---

<sup>3</sup> راجع الكتاب المهم: كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ص 191 وما بعدها.